

94

قصاص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (38)

غزوة تبوك

بإسلام: أبو حنيفة (رحمه الله)
وإمام: أبو حنيفة (رحمه الله)
إشراف: أبو حنيفة (رحمه الله)





فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ لِلْهَجْرَةِ أَعْلَنَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ خَارَجٌ لَغَزْوِ الرُّومِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ
يَتَجَهَّزُوا لِلْخُرُوجِ مَعَهُ ، غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..
كَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا وَالْحَرَارَةُ شَدِيدَةً ، وَالنَّاسُ فِي
الْمَدِينَةِ فِي حَالَةٍ عُسْرٍ وَضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ ..
وَكَانَتْ ثِمَارُ الْمَدِينَةِ عَلَى وَشَكِّ أَنْ تَنْضَجَ ،

وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّقُوا لِحَنِي ثَمَارِهِمْ
وَالْإِسْتِمْتَاعَ بِهَا ، وَيُفَضِّلُونَ الْبَقَاءَ فِي الظِّلِّ وَالرَّاحَةِ
عَلَى السَّفَرِ وَمُلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرِّ وَالْجُوعِ ..

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَاطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَسْرَعَ كُلُّ
مِنْهُمْ يَعِدُّ سِلَاحَهُ وَدَابَّتَهُ الَّتِي سَيَسَافِرُ عَلَيْهَا وَالطَّعَامَ
الَّذِي سَيَأْخُذُهُ مَعَهُ فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ الشَّاقَّةِ ..

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَدْ أَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ يَخْتَلِقُ الْعُذْرَ
الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنَ الْخُرُوجِ لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَخَذَ
بَعْضُهُمْ يَشْجَعُ بَعْضًا عَلَى الْقُعُودِ فِي الْمَدِينَةِ ،
وَعَدَمِ الْخُرُوجِ فِي الْحَرِّ ..

وَذَهَبَ الْمُنَافِقُونَ وَاحِدٌ وَرَاءَ الْآخَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
يُبْدُونَ لَهُ الْأَعْدَارَ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي الْبَقَاءِ ،
وَعَدَمِ الْخُرُوجِ مَعَهُ فَأْذَنَ لَهُمْ ..

وَكَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ كَثِيرُونَ يُحِبُّونَ الْخُرُوجَ
لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكِنَّهُمْ فَقَرَاءٌ لَا يَجِدُونَ

سلاحاً ولا طعاماً ، ولا حتى دابةً يركبونها ،
فذهبوا إلى رسول الله ﷺ يعرضون عليه حالهم ،
ويطلبون منه أن يجد لهم ما يحملهم عليه ..

ودعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى التصديق في
سبيل الله لتجهيز الجيش بالسلاح والدواب والطعام ،
حتى يجد الفقراء المعدمون ما يركبونه ، وسارع
أغنياء المسلمين بالتصدق بأموالهم ، وبعضهم
اشترى السلاح أو الطعام أو الدواب للجيش ..

وتصدق (عثمان بن عفان) رضي الله عنه بألف دينار
ومائتي بعير مجهزة للغزو في سبيل الله ، فقال
رسول الله ﷺ :

« اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ » ..

وتصدق (أبو بكر) و (عمر) و (عبد الرحمن
ابن عوف) وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .. ووجد
رسول الله ﷺ الزاد والسلاح لعدد كبير من

الْفُقَرَاءُ فَخَرَجُوا مَعَهُ لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ بَقِيَ
أَنَاسٌ لَمْ يَجِدْ لَهُمُ الرَّسُولَ ﷺ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ،
فَاضْطُرُّوا لِلْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ وَأَعْيَنَهُمْ تَفِيضُ الدَّمْعِ حَزَنًا
عَلَى عَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

وَتَخَلَّفَ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةٌ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، بِدُونِ عُذْرٍ وَلَا سَبَبٍ مَقْبُولٍ ،

وَهُمْ :

**مثلا الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة أنثت سبع سنابل
في كل سنبل مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء**

(كعب بن مالك) و (مرارة بن الربيع) و (هلال
ابن أمية) رضي الله عنهم ، وهؤلاء سوف نعود إلى قصصهم
فيما بعد ..

وتخلف صحابيان جليلان ، ثم لحقا بجيش
رسول الله ﷺ في الطريق ، وهما (أبو خيثمة)
و (أبو ذر الغفاري) رضي الله عنهما ..

أما (أبو خيثمة) رضي الله عنه فقد رجع إلى بيته بعد عدة
أيام من رحيل جيش رسول الله ﷺ عن المدينة ..

كان اليوم شديد الحرارة ، وكان له (أبي خيثمة) رضي الله عنه
زوجتان ، فوجد كل واحدة منهما قد رشت فناء
الدار بالماء ، حتى تلطف من حرارته ، وأعدت له
ماء باردا وطعاما شهيا ، وأعدت له مكانا ظليلا رطبا
ليجلس فيه ، فوقف (أبو خيثمة) ينظر إلى ما
أعدت له زوجاته ، وقال :

- رسول الله ﷺ في الشمس والرياح والحر ،

وَأَبُو خَيْثَمَةَ مُقِيمٌ فِي ظِلِّ بَارِدٍ ، وَطَعَامٍ شَهِيٍّ ،
وَزَوْجَتَيْنِ حَسَنَاتَيْنِ ؟ ! لَيْسَ هَذَا بِالْعَدْلِ .. وَاللَّهِ لَا
أَدْخُلُ دَارَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..
وَطَلَبَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) ﷺ مِنْ زَوْجَتَيْهِ أَنْ تَعِدَا لَهُ
زَادًا لِلسَّفَرِ ، ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ ، وَانْطَلَقَ لِيَلْحَقَ بِجَيْشِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

فَلَمَّا اقْتَرَبَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) ﷺ مِنْ جَيْشِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، صَاحَ بَعْضُ النَّاسِ :

- هَذَا رَاكِبٌ مُقْبِلٌ عَلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » ..

فَلَمَّا اقْتَرَبَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) ﷺ أَكْثَرَ عَرَفَهُ النَّاسُ ،
وَصَاحُوا :

- هُوَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هُوَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) ..

وَلَمَّا سَلَّمَ (أَبُو خَيْثَمَةَ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَخْبَرَهُ عَنْ سَبَبِ تَأْخُرِهِ ، دَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ
بِخَيْرٍ ..

وَمَضَى جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاصِدًا الشَّامَ لِيَغْزُوا
الرُّومَ .. وَفِي الطَّرِيقِ نَفَدَ الْمَاءُ مِنَ النَّاسِ ،
فَأَصْبَحُوا وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ لِلشَّرْبِ أَوْ لِلوُضُوءِ ،
فَشَكُّوا حَالَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
رَبَّهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَحَابَةً أَمْطَرَتْ مَطَرًا غَزِيرًا
فَشَرِبَ النَّاسُ وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ وَمَلَأُوا قُرْبَهُمْ بِالْمَاءِ ..
فَقَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ الْمُنْدَسِّينَ فِي الْجَيْشِ :
- كَانَتْ سَحَابَةٌ تَمُرُّ بِالصَّدَقَةِ فَأَمْطَرَتْ ..

وَفِي الطَّرِيقِ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ
أَصْحَابُهُ يَبْحَثُونَ عَنْهَا ، فَقَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ :

- يَزْعَمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَيْرِ السَّمَاءِ ،
وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ !؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« إِنَّ رَجُلًا قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ؟ !
وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شَعْبِ كَذَا » ..



وَحَدَّدَ لَهُمْ ﷺ مَكَانَ النَّاقَةِ ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهَا
وَأَحْضَرُوهَا ..

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَيْشِ ، فَأَخَذَ يَتَخَلَّفُ
عَنْهُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ :
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَخْلَفُ فُلَانٌ ..
فَيَقُولُ ﷺ :

- « دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ ، فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ - تَعَالَى -
بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » ..
حَتَّى قَالَ النَّاسُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَخْلَفُ (أَبُو ذَرٍّ) ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ ..
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ » ..
وَلَمَّا أَبْطَأَ بـ (أَبَى ذَرٍّ) ﷺ بَعِيرُهُ ، نَزَلَ عَنْهُ ،
وَحَمَلَ مَتَاعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَسَارَ مَاشِيًا ، حَتَّى

يَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَعْدٍ ، فَقَالَ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ
وَحْدَهُ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » ..

فَلَمَّا اقْتَرَبَ (أَبُو ذَرٍّ) مِمَّنْ أَكْثَرَ عَرَفَهُ النَّاسُ ، فَقَالُوا

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ (أَبُو ذَرٍّ) ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « رَحِمَ اللَّهُ (أَبَا ذَرٍّ) ، يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ

وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » ..

وَاصِلَ حَيْثُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِيرَهُ نَحْوُ (تَبُوكِ)

فَأَحْذَ بَعْضُ الْمُسَافِقِينَ يَتَحَدَّثُونَ إِلَى بَعْضٍ وَيَتَعَامَزُونَ

عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيُحَوِّقُونَهُمْ مِنْ لِقَاءِ الرُّومِ ، وَقَالَ

بَعْضُهُمْ :

أَتَحْسِبُونَ قِتَالَ الرُّومِ مِثْلَ قِتَالِ الْعَرَبِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؟ ! غَدًا نَرَاكُمْ مُقِيدِينَ فِي الْحَبَالِ وَقَدْ
وَقَعْتُمْ أَسْرَى فِي أَيْدِي الرُّومِ ..

وَلَمَّا وَصَلَ جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى (تَبُوكَ) نَزَلَ
بِهَا ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَاكَ عَشْرِينَ يَوْمًا يَنْتَظِرُ ظُهُورَ
جَيْشِ الرُّومِ وَقُدُومَهُمْ لِقَائِهِمْ ، فَلَمْ يَطْهَرْ لَهُمْ أَثَرٌ ..
وَعَلِمَ حَاكِمُ (إِيلَةَ) وَهُوَ (يُحْنَةُ بْنُ رُوَيْةٍ) بِقُدُومِ
جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى (تَبُوكَ) فَخَافَ مِنْ غَزْوِهِمْ لِبَلَدِهِ ،
وَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَقَدَ مَعَهُ صُلْحًا وَدَفَعَ لَهُ
الْجِزْيَةَ صَاغِرًا ، وَكُتِبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَهْدُ
الصِّلْحِ وَالْأَمَانِ ..

كَمَا جَاءَ أَهْلُ (حَرَبَاءَ) وَأَهْلُ (أَذْرَجَ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَاعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ وَكُتِبَ لَهُمْ عَهْدُ الصِّلْحِ وَالْأَمَانِ ..

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ) مَرَّةً إِلَى
(أَكِيدَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ) مَلِكِ (كِنْدَةَ) النَّصْرَانِيِّ وَطَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

« إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ » ..

وَذَهَبَ (خَالِدٌ) إِلَى كِنْدَةَ لِاحْضَارِ الرَّجُلِ ..

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ الْقَمَرُ سَاطِعًا ، وَكَانَ (أَكِيدَرُ)
فِي شُرْفَةِ قَصْرِهِ ، فَرَأَى الْبَقْرَ الْوَحْشِيَّ تَحْكُ بِقُرُونِهَا
بَابَ الْقَصْرِ ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَخَرَجَ مَعَ حُرَّاسِهِ يُطَارِدُونَ
الْبَقْرَ لِيَصِيدُوهُ ، فَقَابَلَهُمْ (خَالِدٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الْجُنْدِ ، وَقَبَضُوا عَلَى (أَكِيدَرٍ) وَقَبَادُوهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إلى رسول الله ﷺ ، فصالحه على دفع الجزية
وأطلق سراحه ..

ولما انتهى مقام رسول الله ﷺ بـ (تبوك)
انصرف بالجيش عائدا إلى المدينة .. وكان
بالطريق ماء يخرج من جبل بواد يسمى (وادي
المشقق) وهو ماء قليل لا يروى عطش رجل أو
رجلين ، فقال رسول الله ﷺ :

« من سبقنا إلى ذلك الوادي ، فلا يستقين منه
شيئا حتى نأتيه » ..

فسبق إلى الماء بعض المنافقين ، وشربوا الماء
كله ، فلما وصل إليه رسول الله ﷺ ، نظر إلى
الماء ، فلم يجد منه شيئا ، فقال :

« من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » .

فقال بعض الصحابة :

« فلان وفلان » ..

فغضب رسول الله ﷺ ، ثم نزل فوضع يده

على الموضع الذي تأتي منه قطرات الماء
بالجبل ، فأخذ في يده بضع قطرات ، ودعا الله ،
ثم مسح به موضع الماء ، فتفجر الماء غزيراً
كالشلال ، فشرب الناس كلهم وسقوا دوابهم ،
وأخذوا معهم ما يكفيهم للسفر ، وقال رسول الله ﷺ :
« لن بقيتم ، أو من بقي منكم لتسمعن بهذا
الوادي وهو أحصب ما بين يديه وما خلقه » ..

يقصد رسول الله ﷺ أن سوف يفيض بالوادي
حتى يكثر به الزرع ويصير واحة حضراء ..

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة دخل إلى
مسجده وصلى ركعتين لله ، ثم جلس ، فجاءه
المنافقون الذين تخلفوا عن الخروج للغزو معه ،
وأخذوا يعتذرون له ويحلفون له كذباً أنهم
تخلفوا لأعذار قاهرة خارجة عن إرادتهم ، وهي التي
منعتهم من الخروج معه ، وأخذوا يطلبون من
النبي ﷺ أن يقبل أعذارهم ويستغفر لهم ،

فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ وَأَعْذَارَهُمْ
وَصَفَحَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ أَعْذَارَهُمُ الْكَاذِبَةَ ..

وَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ
مَعَهُ وَهُمْ :

(كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ) و (مِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ) و (هِلَالُ
بْنُ أُمَيَّةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَكْلَمْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَرَ
الْمُسْلِمِينَ أَلَّا يَكْلَمُوا أَحَدًا مِنْهُمْ ..

تُرَى لِمَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ، وَلِمَاذَا أَمَرَ
الْمُسْلِمِينَ بِاعْتِزَالِهِمْ وَعَدَمِ الْحَدِيثِ إِلَيْهِمْ ؟ !
قِصَّةُ الْمُخَلَّفِينَ فِي الْكِتَابِ التَّالِي ..

(تَمَّتْ)

رقم الإبداع : ٢٠١٤ / ٣٣٧٧
الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٣٧٥ - ٥٢ - ٨

فَصَرُ الْأَنْبِيَاءِ

• الْكِتَابُ التَّالِي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٢٩) الْمُخَلَّفُونَ

• أَدْرِجْ عَلَى اقْسَانِهِ •

